الجذور التاريخية لمنطقة بني سنوس غرب الجزائر الإنسان والمجال

د. إبراهيم الهلالي
استاذ بحث (أ)، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ
تلمسان- الجزائر
البريد الالكتروني:brhimhelali83@gmail.com

الملخص:
تقودنا هذه الدراسة التاريخية، إلى معرفة الدور الذي قامت به منطقة بني سنوس من ولاية تلمسان غرب الجزائر أثناء مراحلها التاريخية، تسليط الضوء ولو على جزء بسيط بتحديد التسمية والإطار الجغرافي لها، زد على ذلك الإطار الإداري للمنطقة، والتطرق إلى أصولهم وجذورهم التاريخية، لاسيما وأن هذه المنطقة كانت كجل مناطق الوطن عامة والولاية الخامسة التاريخية خاصة، التي لقيت فرنسا صعوبات كثيرة للسيطرة عليها، إذ تعتبر من الأسباب التي دفعتنا إلى البحث في هذا الموضوع هو عدم وجود دراسات مستقلة وعميقة تمكننا من فهم ما جرى من أحداث في المنطقة، وبالتالي تسليط الضوء على معطيات جديدة بدل تلك المعطيات التي أصبحت معروفة لدى العام والخاص، ونقصد بذلك التاريخ الرّسمي الذي سايرناه منذ الاستقلال في مراحل أطوارنا الدراسية.
الكلمات المفتاحية: بني سنوس، أصول، جذور تاريخية، تراث.

The Historical Roots Of The Beni Senus Region, Western Algeria, The Origins And Homeland Of Its Inhabitants

Ibrahim Elhelali
National Center for Research in Prehistoric Anthropology and History _Algeria_
e-mail: brahimhelali83@gmail.com

Abstract:
This historical study leads us to know the role played by the Beni Senus region of the state of Tlemcen, western Algeria, during its historical stages, shedding light even on a small part by defining the name and its geographical framework, in addition to that the administrative framework of the region, and addressing their historical origins and roots, especially since This region was like most of the regions of the homeland in general and the historical Fifth Province in particular, which France faced many difficulties to control, as it is considered one of the reasons that prompted us to research this subject is the lack of independent and in-depth studies that enable us to understand what happened in the region, and thus shed light On new data instead of those data that have become known to the public and the private, and by that we mean the official history that we have followed since independence in the stages of our academic stages.
Keywords: Beni Senus, origins, historical roots, heritage.

تقديم:

تعد الكتابة التاريخية قيد وشرط، فهي مضبوطة بمقاييس علمية تكون ثرية بثراء المادة العلمية من تنوع مصادرها ومراجعها يقتضي البحث.[1]

الحق أن فلسفة التاريخ بمعنى البحث عن العلل والأسباب، فقد أشار إلى ذلك ابن خلدون إشارة لها مغزى دون أن يستخدم المصطلح نفسه، عندما يميز بين الظاهر و الباطن في التاريخ فبقوله: " ففي ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول السوابق من القرون وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق ".[2]

وهذا يعني أن فلسفة التاريخ لا تتجاوز السرد والحشد لأخبار لا رابطة بينها، وأنها تقوم على التعليل على ان الغرض من القول: أنه لا تاريخ بدون تعليل، والعقلي والمنطقي هو ان يتجنب الباحث نسبة الواقعة التاريخية إلى الصدفة وحدها، بل عليه أن يبحث في ظروف الواقعة بحثاً علمياً سليماً، فالمؤرخ يستطيع ان يفسر لنا قيام الحرب أو اغتيال شخصية تاريخية ليس بالصدفة ولكن بأسباب عقلية منطقية مقنعة.[3]

يعود أصل سكان منطقة بني سنوس إلى البربر، المنتمين إلى قبيلة زناته الكبرى التي استوطنت في عصر الممالك البربرية إقليم تلمسان كله تقريبا، فمنطقة بني سنوس تقع على بعد 35 كلم جنوب غرب ولاية تلمسان بالغرب الجزائري، وتمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة تقدر ب:40 كلم، حتى حدود المملكة المغربية.

إن الطبيعة الوعرة التي تتميز بها منطقة بني سنوس جعلت منها مجالا صعبا للدراسة والبحث ولكن بالرغم من ذلك فهناك العديد من الباحثين والعلماء الذين كتبوا وحاولوا البحث في تاريخ بني سنوس فقد تحدث إبن خلدون في كتابه "العبر" عن تاريخ البربر وذكر قبيلة بني سنوس في القرن 14م وقد أشار ماك كارثي في كتابه Algeria Romana إلى بني سنوس، كما تكلم ليون الإفريقي في زمن قريب عن منجم تافسرة كأهم منجم.

أما إذا أردنا البحث المعمق في تاريخها فلابد من الرجوع إلى مقدمة أدموند ديستان وإلى النصوص العديدة المترجمة من طرفه في كتابه دراسة عن لهجة بني سنوس البربرية.

ولكن قبل الخوض في هذه الدراسة، يجب طرح التساؤلات التالية:

ما أصل بني سنوس؟ ومن هم أهلها الأصليون؟

وكيف استطاعت بعض القرى وسكانها الحفاظ على مساجد بني سنوس عامة وتراثها خاصة؟

1/ أصل سكان بني سنوس وموطنهم :

1.1) التسمية:

تعود تسميتهم إلى أصلهم البربري ذو المنابت الواسينية الزناتية، وبني سنوس قبيلة تقطن بجبل يسمى آسْنوس أو أسنوس[4]، وعلى هذا الأساس وقعت نسبة كل مقيم بهذه المنطقة إلى جبل اسنوس بحيث يكون اسم الواحد على الشكل التالي: سنوسي سنوساوي، ابن سنوس ويكون الجمع على الصورة التالية: سنوسيون(سناوسة)، بنو سنوس (بني سنوس) سنوساويون (سنوساوة).

2.1) الإطار الجغرافي لبني سنوس:

---

[1] عبد القادر بلوفة، دور المرأة الجزائرية في الحركة الوطنية، جامعة وهران: مخبر تاريخ الجزائر وإفريقيا، جوان، 1989، ص104.

[2] عبد الغاني عبد الله يسري، هل يمكن فلسفة التاريخ، مصر: دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الالكتروني، العدد:04، 2009، ص 57.

[3] المرجع نفسه، ص 57.

[4] عبد المالك بن عبد القادر بن علي، الفوائد الجبلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا، ج1، دار الجزائر، دمشق، (دت)، ص 07.

تقع منطقة بني سنوس على بعد 35 كلم من الجنوب الغربي لمدينة تلمسان غرب الجزائر، و 25 كلم من الشمال الغربي لسبدو، وهي تشغل حوضا واسعا من أعالي وادي تافنة المحصور بين جبال عالية والتلاحم مع وادي الخميس الذي ينبع من جبال المشاميش الواقع على الحدود المغربية، يحدها غربا بني بوسعيد، ومن الشمال منطقة بني هديل، من الشرق أولاد نهار ومن الجنوب جبال المشاميش على الحدود المغربية.[1]

ينبع نهر تافنة من أسفل غابة مرشيش من عين الحبالات، على بعد 10 كيلومترات من هذه المدينة حيث يصطدم بسد جبلي يتراوح علوه بين 1200 و1300 متر، متوجها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ثم يتبع السد الجبلي نحو الشمال الغربي.

انطلاقا من هذا المنعطف يبدأ النهر سيله في مجرى ضيق، تشرف عليه جبال عالية مشجرة وصخرية، ثم يتسع الوادي بعد بضعة كيلومترات ليبلغ عرضه بين 2 إلى 3 كيلومترات على طول 15 كيلومترا تقريبا.[2]

هنا توجد قرى العزايل: تافسرة والثلاثاء وزهرة، أما قرية بني بحدل التي تبعد عن مجرى نهر تافنة بمسافات مختلفة، تحيط بها الخضرة من كل جه وتفصل غابات الزيتون والحقول في صورة سد أخضر بينها وبين مجرى النهر، يشكل هذا الجزء الأول من نهر تافنة، من منبعه إلى غاية الكاف، بعد تجاوز حدود العزايل بقليل حوضا منظما تشرف على جانبيه الجبال العالية.[3]

بين بني بحدل والكاف يضيق الوادي ويصبح المجرى أكثر انحدارا و يؤخذ أحد المنحدرات بالقرب من قرية الكاف شكل مدرج روماني، يشرف على نهر تافنة من علو ثلاث مئة متر ويمتد على قطر قدره ثلاثة كيلومترات.[4]

أما وادي الخميس، فإنه ينبع من مازر قريبا من الجهة الشرقية لمضيق المشاميش الذي هو نقطة عبور حدودية مهمة نحو المغرب الأقصى، ويتجه سيله من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، ليصب في نهر تافنة من جهة اليسار قبل قرية بني بحدل بقليل.[5] يمتد وادي الخميس على طول ثلاثين كيلو مترا تقريبا، ويتراوح عرضه بين سبعة إلى ثمانية كيلومترات من الحدود المغربية إلى قرية بني بحدل، فإذا اتبعنا هذا النهر من نقطة التقائه مع تافنة إلى غاية منبعه تكشف لنا صخوره عن الخصائص الطبوغرافية التالية: يبدأ الوادي واسعا جدا تحفه في الجهة الجنوبية الشرقية وفي الجهة الجنوبية جروف مغراء، يتراوح علوها مابين ألف وثلاث مئة وألف وخمس مئة متر، تتميز بقمم أطلاليه ذات التكوين الجيولوجي الثاني لمرتفعات تلمسان توقفه من الجهة الشمالية الغربية و من الجهة الشمالية حواجز جبلية علوها ثمانية مئة وخمسين متر، ثم يأخذ الوادي مجرى ضيقا مباشرة بعد مطحنة الأغا (رحاه لاغا) في المكان الذي نجتاز منه النهر عبر معبر نصل إليه عن طريق صاعد يوازي النهر على الضفة اليسرى.[6]

إن قرى بني سنوس كلها، تشكل جميعا وحدة جغرافية و ثقافية غير قابلة للتميز، وكل تقسيم لها إنما هو تقسيم اعتباطي لأن سكانها الأصليين ينتمون إلى نفسها الجماعة أو الأسرة البربرية المسماة بني سنوس و بالضبط إلى أولئك الذين يتكلم عنهم ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي و تشمل هذه المنطقة إضافة إلى أقسام الإدارية للخميس و العزايل قبيلتي الكاف و بني بوسعيد.[7]

---

[1] عبد الكريم بن عيسى، "الملامح المسرحية في احتفالية آيراد بمنطقة بني سنوس" (مخطوط) رسالة ماجستير، جامعة تلمسان،2003،2002، ص39.

[2] ألفرد بل، "بني سنوس ومساجدها في بداية القرن20، تقديم تعريب: محمد حمداوي وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع 2001 ص44.

[3] ألفرد بل، المرجع السابق، ص 44.

[4] ألفرد بل، المرجع نفسه، ص 45.

[5] المرجع نفسه، ص 46.

[6] المرجع نفسه، ص 46.

[7] المرجع السابق، ص 102.

3.1/ الإطار الإداري للمنطقة :

كما ذكرنا سالفا فمنطقة بني سنوس تقع على بعد 35 كلم جنوب غرب ولاية تلمسان، وتمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة تقدر ب:40 كلم، حتى حدود المملكة المغربية، يحدها غربا: دائرة بني بوسعيد، ومن الشمال منطقة بني هديل، ومن الشرق أولاد نهار، جنوبا المشاميش. كما هو الشأن بالنسبة لكافة القرى والدواوير، بعد دخول الاستعمار الفرنسي فان قرى بني سنوس قد تم تفكيك وحدتها وقسمت اداريا وبصورة اعتباطية إلى قسمين: قرى العزايل الأربعة التي ألحقت ببلدية سبدو المختلطة، وقرى الخميس الثلاثة عشر التي ألحقت ببلدية مغنية العسكرية، بموجب قانون الشيوخ (22أبريل 1863).[1] إن قرى العزايل وبني بحدل والخميس التي تمتد على مساحة إجمالية قدرها (34628هكتار) لم يكن عدد سكانها في نهاية القرن التاسع عشر(1891) يتجاوز 3913 نسمة، موزعة كما يلي:

العزايل: مساحة10128 هكتار مقابل204 نسمة.

الخميس: مساحة 11500 هكتار مقابل1381 نسمة.

الكاف: مساحة1300 هكتار مقابل491 نسمة.

وبعد 30سنة أصبحت قرى العزايل تعد 2742 نسمة، وقرى الخميس 4242 نسمة وإذا كان سكان الخميس قد تجاوز في نموهم سكان العزايل.[2]

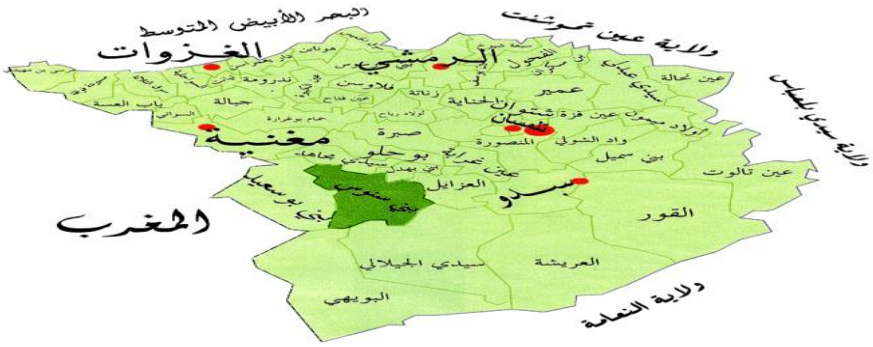

2/ الأصل

يعود أصـ متوطنت في

عصر الممالك البربريه إقليم تلمسان كله تقريبا فاختلفت الاراء و تضارب اراء المؤرخين، رغم اتفاقهم حول القبيلة الأم التي ينتمي إليها السنوسيين و حول القبيلة الفرعية التي انحدر منها هؤلاء، يرى البعض أن سكان بني سنوس ينحدرون من قبيلة بني حبيب، معللين ذلك بوجود آثار إقامتهم في المنطقة و يحفظ ذكراهم من طرف الأساطير.[3]

ولما كانت هذه القبيلة قد استوطنت بني سنوس في القرن الثامن الميلادي و كانت قبيلة بن يفرن التي يذكرها النسابة باسم بني يفري بني صلتين، قد استوطنت المنطقة قبلهم فيرى البعض الآخر أن سكان

[1] محمد حمداوي، البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس، في النصف الأول من القرن العشرين(قرى العزايل نموذجا)، (مخطوط)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2005، ص 129.

[2] المرجع نفسه، ص 130.

[3] محمد حمداوي، المرجع السابق ، ص 130.

منطقة بني سنوس ينتمون إلى هذه الأخيرة. فقد كان بنو يفرن في عهد الفتح الإسلامي، منتشرين في افريقية ، والمغرب الأوسط، ثم انتشروا في الناحية الغربية لبلاد المغرب.[1]

ويشكك ألفرد بل في هذا النسب قائلا " أن يكون هؤلاء البربر الذين يسكنون اليوم وادي تافنة والخميس من قبيلة بني حبيب... فإنك ذلك مالا نستطيع الجزم". مرجحا ما ذكره ابن خلدون عن بني سنوس، إحدى بطون كوميه، ولهم ولاء في بني كمي (الجماعة التي ينتسب إليها عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين).ولما فصل بنو كمي إلى المغرب (في عصر الموحدين، القرن الثاني عشر).[2]

إن هذا النسب إلى القبائل المختلفة في مراحل تاريخية مختلفة، لا يستبعد احتمال أن تكون هذه القبائل بعضها بطن من بعض، فينسب بني يفرن ليصلتين، وكوميه لبني يفرن وبني حبيب لكوميه، وبني سنوس لبني حبيب، بهذا القدر من القرابة أو ذاك، ومهما يكن من أمر فإن الذي لا جدال فيه هو أن سكان بني سنوس يرجعون في نسبهم العام إلى قبيلة زناتة وهو ما لا يكنفه اختلاف النسابة والمؤرخين.[3]

وتعد منطقة بني سنوس محل أنظار الاستعمار منذ القديم، نظرا لموقعها الآمن وأهميتها الاستراتيجية، وطبيعتها الجميلة، زد على ذلك كونها منطقة حدودية ومركز نشاط هام بين المغرب الأقصى والجزائر، ولهذا فان بني سنوس عرفت الاحتلال الروماني.[4]

هذا الاحتلال الذي مازالت آثاره باقية بالمنطقة، كما هي الحال بالنسبة للجزء الأعلى لوادي تافنة بقرية تافسرة وفوق الجبل الموجود على يمين قرية بني عشير وبني زيداز، حيث توجد الآثار والمعروفة إلى يومنا هذا ب"قعدة الصور". وإذا كان بعض المؤرخين الفرنسيين ينسبونه إلى البربر لا إلى الرومان، بعض الآثار التاريخية الموجودة بالمنطقة مثل: أسوار كدية النصارى أو برج الرومان، غار النصارى، قعدة الصور، أوقرن العسة، أو تاقليعت فأنهم لا ينكرون مع ذلك أن يكون الرومان قد شيدوا في هذه المناطق بعض الأبراج العسكرية للمراقبة، أو كانت لهم بعض الاستثمارات لاستخراج زيت الزيتون.

وذلك ما أكده ماك كارثي، حيث لا يستبعد أبدا أن يكون الرومان قد سلكوا نفس السبيل التي سلكتها بعدهم فرنسا، استوطنها الرومان، واستوطنوا في منطقة تلمسان نفس الأماكن التي استوطنها الرومان رغم اهتمامهم بالأماكن الموجودة في مصبات الأنهار، أكثر من تلك الموجودة في منابعها وأجزائها العليا.[5]

ولا شك أن الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا من الفنقيين، وهم الآخرون استوطنوا منطقة بني سنوس، وذلك نفسها للأسباب الطبيعية وهم الذين علموا البربر بمن فيهم سكان بني سنوس الأصليون: الزراعة، والاعتناء بشجرة الزيتون (التي كانت موجودة كشجرة وحشية)، وكيفية استخراج الزيت منها، كما علموهم زراعة التينة، والكرمة، والرمانة وفن زراعة الأشجار المثمرة عموما، كذلك أخذ السنوسيين عنهم الصناعات القابلة للتصدير كالصناعات الفخارية، وصناعة المعادن والنسيج والمجوهرات.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص 130.

[2] ألفرد بل، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن 20، المرجع السابق، ص 51. أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون "تاريخ ابن خلدون"، دار الكتب العلمية، المجلد السابع، بيروت، 1992، ص 134.

[3] المرجع نفسه، ص 51/50.

[4] ألفرد بل، المرجع السابق، ص 51.

[5] البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس، المرجع السابق، ص 133.

[6] المرجع نفسه، ص 133.

2.2/ التاريخ الإسلامي لبني سنوس:

أما الديانة الإسلامية، لقد تم اعتناق سكان بني سنوس للإسلام على يد السلطان إدريس الأول، الذي غزا المغرب الأقصى و المغرب الأوسط عام مئة وثلاثة وسبعين للهجرة ، وهو ما يشير إليه عبد الله التنسي بقوله: " فلما استوثق له الملك وتمت دعوته، زحف إلى البرابر الذين كانوا بالمغرب كفارا، فأسلموا على يديه طوعا وكرها فافتتح "تامسنا" و"تادلا" و"شالة"، ثم زحف في سنة ثلاث وسبعين إلى تلمسان، وبها أميرها محمد بن خزر المغراوي، فخرج إليه مبايعا مطيعا فأمنه وأبقاه أميرا بتلمسان ورجع إلى مدينة و ليلى".[1]

وقد جاء المنطقة ضمن الهجرات اللاحقة للإسلام عدة قبائل معظمها من فيقيق و استقرت في ضواحي الخميس ومن هؤلاء على ما يبدو كثير من الأسر بأولاد عربي، و بني عشير، وهم يقلدون فيقيق مدينتهم الأصلية، التي فيها "أولاد علي" أو "موسى" المستقرون بقرية الكاف.[2]

والدليل على أن بعض سكان بني سنوس كانت مدينة فيقيق أصلا لهم، هو احتواء لهجة بني سنوس البربرية على كلمات خاصة بسكان فيقيق، من جهة ومن جهة أخرى، وجود بعض الأعراف القديمة التي لا توجد على امتداد التل إلا لدى سكان بني سنوس، وقد أمكنت ملاحظتها في فيقيق أيضا.[3]

ولقد اسهمت بني سنوس مع مناطق الجنوب الغربي، و الشمال الغربي لتلمسان ومناطق الشمال الشرقي والجنوب الشرقي للمغرب الأقصى، اسهاما بارزا في الحركات المذهبية السياسية منذ حركة الأدارسة على الأقل، و إلى غاية سقوط الدولة الزيانية، على أن هناك من يرى أنهم لعبوا بعض الدور حتى في الحركة الخارجية الصفرية والإباضية الأمر الذي يجعل محتملا إسلام سكان بني سنوس قبل مقدم إدريس الأول إليها، أمرا محتما خلاف ما ذهب إليه ألفرد بل، بأن إرساء قواعد الإسلام بصورة نهائية في بلد بني سنوس، كان بعد بسط المرابطين سيطرتهم على تلمسان والتي بها يبدأ تاريخ تلمسان الحالية.[4]

عرفت المنطقة الاسلام منذ بداية انتشاره في الشمال الإفريقي وأن سكان بني سنوس انضموا إلى دعوات الفرق كلها، ولعبوا دوراً بارزاً في نشاطها السياسي والعسكري، وكما انضموا إلى دعوة المرابطين وهبوا إلى مناصرتهم اقتناعاً بالتغيير الذي يمكن لها أن تحدثه إصلاحا لفساد الفرق السابقة، ولقد انضموا بعد ذلك إلى الموحدين وأحسنوا تأييدهم، فلقد التحق سكان بني سنوس بالموحدين منذ سنة خمس مائة وسبعة وثمانين للهجرة، (الموافق لألف ومئة وسبعة و تسعين للميلاد)، استجابة لنداء الإصلاح الديني الذي تزعمه ابن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي.[5]

فلقي سكان بني سنوس مقابل هذا الموقف انتقاما شرسا من قبل السلطان المرابطي "تاشفين"، الذي أمر قائده الزبرتير، قائد الميليشيات المسيحية بتلمسان بالقيام بحملة قوية على بني سنوس و فاجأ سكانها و كبدهم خسائر فادحة في النفوس وانتزع غنائم معتبرة و انقلب راجعا إلى تلمسان، لكن جنود الموحدين

---

[1] المرجع السابق، ص 133. أنظر: أبو عبد الله التنيسي،" تاريخ دولة الأدارسة (من كتاب الدر والعقيان)" تحقيق وتقديم: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 134.

[3] المرجع نفسه، ص 134.

[4] ألفرد بل، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن 20، المرجع السابق، ص 97.

[5] البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس، المرجع السابق، ص 134.

سارعوا إلى نجدة حلفائهم الجدد، بعد علمهم بما لحقهم على يد المرابطين فهاجموا الزبرتير وجنوده وقتلوه ومن معه من الجنود وصلبوا جثمانه.[1]

وكان تأييد بني سنوس للزيانيين واضحا، فيذكر التاريخ أنها تجاوزت كل مشايعة، ذلك أن بني سنوس كان لها في ولائها ليغمرا سن وبنيه دور قيادي وسيكون من بين نخبتها السياسية والعسكرية بعض ولاة الدولة الزيانية، يتوقف التاريخ عند أحدهم وهو يحيى بن موسى السنوسي، الذي تولى قيادة الجيش الزياني لغزو الحفصيين، وأسندت إليه ولاية المدية وتادلس، بعد عزل موسى بن علي في سنة سبع مئة وواحد وعشرين للهجرة الموافق لألف وثلاثة مئة وواحد وثلاثين للميلاد. وقد ولي على منطقة الشلف في سبعة مئة واثنتي عشر للهجرة، الموافق لألف وثلاثة مئة وثمنية عشر للميلاد، عندما تولى الحكم تاشفين الزياني.[2]

ولا عجب، فقد قضى هذا القائد السنوسي الفد سنوات من شبابه في خدمة عثمان بن يغمراسن وأولاده، وهو الذي يذكر ابن خلدون بني سنوس من خلاله في كتاب العبر، إذ يقول:" وأما يحيى بن موسى، فأصله من بني سنوس إحدى بطون كومية ولهم ولاء في بني كمي، بالاصطناع والتربية، ونشأ يحيى بن موسى في خدمة عثمان وبنيه واصطناعهم".[3]

لقد أمكنه في ذوده عن حدود الدولة الزيانية أن يتقدم بجيوشه إلى غاية عنابة، وأن يستولي عليها منتقماً بذلك للإخفاق الذي مني به القائد السابق له موسى بن علي الكودي.[4] ومات يحيى بن موسى السنوسي مغموراً بالعزة بعد سقوط تلمسان بقليل، فلم تعرف الدولة الزيانية قائداً في عظمته وإخلاصه لبني زيان، يرد عنهم التمردات والأطماع، و لقد اغتنم (حوالي منتصف القرن الرابع عشر)، بنو عبيد الله، وهم قبيلة كانت مستقرة بين تلمسان ووجدة ضعف الزيانيين، فاستقروا في التل وأرغموا السلطان على التخلي لهم عن وجدة وندرومة، وبني زناسن ومديونة، وبني سنوس، وعن الضرائب التي تعودت هذه المناطق أن تدفعها لهم من قبل.[5] وعندما أراد سنة تسعة مئة وخمسة وخمسين للهجرة (الموافق لألف وخمسة مئة وثمنيه وأربعين للميلاد)، سيدي عبد الرحمان اليعقوبي أن يشكل رابطة ضد المسيحيين، أيده سكان بني سنوس في موقفه ووقعوا عقد الوحدة إلى جانب أهل: آنقاد وترارة ومدغرة.[6]

الواقع أن سكان بني سنوس الذين كانوا مرتبطين بالزيانيين ارتباطاً قوياً تجاوز الولاء إلى المشاركة في الحكم، قد حقدوا على الأتراك منذ دخولهم تلمسان وضواحيها. لما رأوه منهم من الظلم والاستبداد والتعسف في استخدام القوة وخصوصاً عذرهم ببعض السلاطين الزيانيين بعد نصرتهم، وعبتهم بسيادتهم لذلك فإن تمرد السكان على حكمهم كان كثيرا، ولم يكونوا يدفعون لهم الضرائب إلا بطشهم لافتقارهم القوة التي تدفع عنهم، ففي بداية القرن التاسع عشر، نظم المرابط الدرقاوي، سيدي حامد شيخ المهاية، تمردا على الإدارة التركية، فاستجاب له الكثير من السكان الذين يحملون للأتراك هذا القدر أو ذاك من العداء، بمن فيهم سكان بني سنوس وجيرانهم القريبون من الكاف و سيدي مجاهد، لكن باي وهران باي حسن، ضرب التمرد بقسوة، واضطر سيدي حامد إلى اللجوء إلى المغرب الأقصى، إفلاتاً من انتقام الإدارة التركية.[7]

3.2/ التاريخ الحديث لمنطقة بني سنوس:

أما حديثنا عن التاريخ الحديث فنعني به التاريخ الاستعماري، فالاستدمار الفرنسي قد دخل منطقة بني سنوس في سنة ألف و ثمان مئة و اثنين وأربعين للميلاد فكانت قرى العزايل هي الأولى التي استولى عليها، نظراً لكونها ذات طبيعة سهلة المنال(من طرف الجيوش الغازية)، لا تحتوي على مواقع طبيعية للمقاومة، وليس معنى ذلك أنها لم تقاوم إطلاقاً، بل لأن موقعها في أرض منبسطة في ملتقى طريقين

---

[1] المرجع السابق، ص 135.
[2] البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس، المرجع نفسه، ص 135.
[3] المرجع نفسه، ص 135. وأنظر أيضا:عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ص 134.
[4] المرجع نفسه، ص 136.
[5] المرجع السابق، ص 136.
[6] المرجع نفسه، ص 136.
[7] المرجع نفسه، ص 137.

عسكريين يجعل مباغتتها سهلة، ولا يترك لسكانها وقتاً لاستعداد الحرب والالتحاق بمواقع المواجهة اللازمة، هكذا فإن قرى: تافسرة، الثلاثا، زهرة وبني بحدل، لم تكن تستطيع الصمود طويلا عندما تهاجمها الفيالق العسكرية من سبدو، عن طريق" ثنية البل" أو من تلمسان عن طريق" **العقيبة**"، ولمواصلة حربها ضد الاستعمار الفرنسي كان على رجال قرى العزايل القادرون على الحرب أن يلحقوا بسكان القرى الأخرى المتوفرة على الشروط الطبيعية للمقاومة مثل صعوبة الوصول إلى أرضها أو الطبيعة الدفاعية للمخابئ المعلقة في الجبال والتي يتعذر الوصول إليها.[1] لذلك فإن إخضاع قرى العزايل قد أمد قرى بني سنوس الأخرى بقوة مقاتلة، وأن هذه القرى سوف تعبر عن رفضها للمستعمر بصورة مطلقة وسوف تقاومه إلى غاية استنفاد كل قواها الدفاعية.

إن قرية الكاف التي كانت دائما مركز مقاومة، بحكم وضعها الريفي وموقعها الدفاعي وطبائع سكانها التحررية، سوف تصمد طويلا وسوف تستخدم كل الوسائل لمقاومة الاستعمار الفرنسي.[2]

ففي سنة ألف وثمان مئة واثنين وأربعين للميلاد، دعا سكان الكاف الأمير عبد القادر لنجدتهم، مقدرين القدرات الدفاعية الفرنسية وحدود إمكانيتهم، إذ هاجمتهم الجيوش الاستعمارية وكان الجنرال بيدو قد قام منذ مدة في تلمسان.[3]

خاض الأمير عبد القادر معركة **"باب تازا"** في التاسع والعشرين من أبريل ألف وثمان مئة واثنين وأربعين وأرغمه على الانسحاب إلى المغرب، وعزم من على التوجه إلى الكاف لضربه بقوة وكسر روح المقاومة وفي الحادي عشر من ماي اثنين وأربعين خرج سكان الكاف لمواجهة جيوش بيدو، فاحتل الخيالة المعابر المؤدية إلى القرية لاعتراض الجيوش الفرنسية، وانتشر السكان على الضفة اليمنى لنهر تافنة فوق المرتفعات المشرفة على القرية، غير أن الجيوش الفرنسية التي كان يقودها ماك ماهون، كانت كبيرة بما يكفي لمحاصرة القرية من كل مكان: كتيبتان من جهة اليمين، ومكتيبة من جهة اليسار والخيالة الدوايرو والحميلة من جهة الوادي، كلهم في هجوم موحد هكذا لم يستطيع السكان الذين انتشروا على المرتفعات الصمود طويلا، أما المقاتلون الذين تابعوا المقاومة فقد استشهد منهم عدد يقدر ب:45 رجلا.[4]

وأمكن الجيوش الفرنسية عبور النهر ومحاصرة القرية والاستيلاء على أنعامها وحرق البيوت وإفساد الحقول وقطع الأشجار المثمرة، تنفيذا لأوامر الجنرال بيدو ولكن هذه الأعمال الاستعمارية كلها لم تخضع سكان الكاف بصورة كاملة ولم تقض فيهم على روح المقاومة.[5]

أما قرى الخميس فإنها اتخذت قرية بني عشير معقلا للمقاومة، فكانت أن أقامت المعارضة الأكثر صلابة وعناد لنشاط الجيوش الفرنسية لذلك فقد أحضرت القوة اللازمة لاقتحامها، ثم حطمت ديارها وأحرقت حقولها وحولت كل شيء فيها إلى رماد، ثم انتقلت المقاومة إلى مازر الواقعة قرب الحدود المغربية فهاجمتها الجيوش الفرنسية هي الأخرى وأخذتها بالعنف وألحقت بها من التحطيم ما ألحقته بقرية بني عشير من قبل. وقد سبقت هذه الأعمال الاستعمارية ثلاثة زيارات استطلاعية: زيارة الجنرال بيدو، في ألف وثمان مئة وثلاثة وأربعين، ولا صور يسيير في ألف وثمان مئة وخمسة وأربعين.[6] ففي الثالث والأربعين ثمان مئة وألف جاب الجنرال بيدو وادي الخميس كله، ولم يجد من ذلك أية فائدة، أما في الأربعة والأربعين خيم الجنرال كافينياك الذي أصبح قائدا لمقاطعة تلمسان خلفا للجنرال بيدو في **"دار صعلة"** وهو مكان بالقرب من بني حمو (الفحص) وفرض على قرى الخميس غرامة، دون ان يتلقى شيئا، وظلت القرى رغم ما لقيته من عنف متمسكة بالمقاومة.[7] ومع مطلع الخامس والأربعين ثمان مئة وألف، انتفضت قرى الخميس من جديد بتحسيس وتنظيم من طرف الزعيم محمد ولد علي ولد موسى أحد

---

[1] محمد حمداوي، المرجع السابق، ص 138.
[2] المرجع السابق، ص 138.
[3] المرجع نفسه، ص 138.
[4] محمد حمداوي، المرجع السابق، ص 139.
[5] المرجع نفسه، ص 139.
[6] المرجع السابق، ص 139.
[7] المرجع نفسه، ص 139.

أقارب البوحميدي خليفة الأمير عبد القادر فلحقت بها كل قرى بني سنوس الأخرى ذلك ما آثار قلق الجنرال كافينياك فدعا الرائد بيلو القائد الأعلى لسبدو لتشديد الحراسة والحدر والاحتراز من سكان بني سنوس وكل ما يحيط بهم.[1]

مع انطلاقة الحركة التحريرية زودت بني سنوس هذه الحركة بالكثير من المناضلين فاستقطب نجم شمال افريقيا أغلبهم ، وظل حزب الشعب الجزائري و الحركة من أجل الحريات الديموقراطية يستقطبان المناضلين أكثر فأكثر إلى أن تأسست جبهة التحرير الوطني فسارع المناضلون إلى الانضمام إليها اختيارا للنضال المسلح على النضال السياسي.[2]

ليس في بيت تقاعس عن المشاركة في الحرب التحريرية، ومدها بالرجال والأموال مدا مستمرا حتى وضعت الحرب أوزارها، وأعلن يوم الاستقلال، فإذا أردت أن تحصي شهداء بني سنوس دون المجاهدين الآخرين وجدت قرى العزايل وحدها تعد500 شهيد، أما قرى وادي الخميس فصارت تعرف بواد الألف شهيد.[3]

3/ النسيج العمراني:

نجد في منطقة بني سنوس أنماطا من المساكن المختلفة، منها ما فرضتها الظروف التاريخية ومنها ما يفسر على أساس الظروف الطبيعية التي لها تأثير خاص على المسكن وساكنيه.

إن قرية الخميس وبني عشير مثلا تتألف من مجموعة متماسكة من المنازل وهي غالبا ما تتمثل في المنازل المبنية بالحجر على جانب الكهوف حسب التخطيط العمراني البربري.

أول ما يلفت الانتباه في الدار أو تادرت باللغة الأمازيغية هو الحجرات التي تتصل إحداها بالأخرى، فلكل حجرة باب خاص بها أما السقوف عادة ما تصنع من خشب الزيتون أو الصنوبر، يحتوي كل منزل على عناصر مهمة وهي:

- الحوش : و هو فناء الدار الذي تنظم حوله الحجرات المختلفة.
- الكهف : مغارة باردة و مكيفة طبيعيا تستخدم لحفظ الغلال.
- لمباح : يستعمل بمثابة مطبخ أو مكان عمل أين تقوم النساء بنسج الحصير.
- الخيامة : مكان وضع الخردوات.[4]

[1] المرجع السابق، ص 140.
[2] المرجع نفسه، ص 140.
[3] إبراهيم الهلالي، المرجع السابق، ص 18.
[4] محمد حمداوي، الدار والقرية لدى بني سنوس، مجلة انسانيات ، العدد السابع ، وهران، 1999، ص25

1.3/ قلاع بني سنوس:

تعريف القلعة لغة: يمكن تعريف معنى كلمة (قلعة) لغة بأنها كلمة مفردة وجمعها قلاع وقلع ومنه يقال: اقلعوا بهده البلاد اقلاعا بنوها فجعلوها كالقلعة، والقلعة بفتح اللام، ومنه الحصن الممتنع في الجبل.[1]

تعريف القلعة اصطلاحا: أما تعريف لفظة القلعة فيمكن التعريف عنه بأنه الحصن الممتنع في أعلى الجبل ويكون صعب المرتقى.[2]

ويطلق على القلاع محليا اسم تقليعت أو تقليحث، وبمنطقة بني سنوس قلاع ومدن أقيمت على قمم الجبال الوصول إليها ليس بالأمر السهل، كل الآثار الباقية تثبت عرش هذه المملكة المنسية التي اتخذت بني سنوس مكان لازدهارها، انها كانت أكثر تنظيما من جهة الدفاع العسكري لقلاع المترامية على قمم الجبال، في كل قمة من هضبة او جبل تلقى قلعة للحراسة.

حسب الحكايات المتداولة بالمنطقة تعود لحضارة البربر ببني سنوس، دشرة بني برهون وحاكمها السلطان اوشيش جزء من تاريخ الجزائر المنسي الذي وقف ضد لتوسع الروم من جهة الغربية لتلمسان كل مناطق ولاية تلمسان استعمرتها روما إلا بني سنوس وقف ضدها القائد البربري السلطان الاكحل أوشيش.

2.3/ نشاط السكان:

إن الحياة الاقتصادية لمنطقة بني سنوس تعتمد على زراعة الأشجار خاصة الزيتون والتين كما تنتشر تربية المواشي التي تعد المصدر الرئيسي لحياة السكان، حيث توفر الأبقار والأغنام والماعز ثروة غذائية هامة من اللحوم والحليب ومشتقاته والجلود والصوف التي تستعمل في الأدوات التقليدية.

لقد امتهن أهل القرية حرفا كثيرة فاستخدموا الطين لصنع بعض اللوازم المنزلية كمقلاة الخبز (الطاجين)، والموقد (المجمر)، والقدر، واستعانوا بالخشب لصنع بعض الأواني الخشبية. واستعملت الحلفاء لصناعة الأطباق والنعال والكسكاس، كما اشتهرت المنطقة بصناعة الحصير حيث يستعمل كفراش أو لتزيين جدران البيوت والمساجد نجد بعض الصناعات كصناعة السروال العربي وبعض الحلي وأيضا بعض الصناعات التحويلية كصناعة زيت الزيتون.[3]

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مطبعة عيسى الباي الحلبي، مصر، 1306ه، ص 73.

[2] أحمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول، عالم الكتب، بيروت،1992، ص 755.

[3] بن عيسى عبد الكريم، الملامح المسرحية في احتفالية آيراد بمنطقة بني سنوس، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان، 2002-2003، ص 42.

4/ مساجد بني سنوس:

لقد اشتهرت منطقة بني سنوس بمساجدها العتيقة ذات العمارة التقليدية، التي ميزتها البساطة فنادرا ما نجد فيها زخارف فنية راقية وإن وجدت، فلا تعدو أن تكون إلا أشكالا ورموزا بربرية فلم تستعمل فيها تلك الزخارف الجصية المنحوتة بالنقوش العربية والأشكال الزخرفية حول المحاريب والأعمدة الرخامية وتيجانها وكذا الخشب المنقوش أو المزين بالرسوم مثل مساجد المدن الكبرى.

فقد عبرت هذه المنشآت المعمارية بوجه حقيقي عن المجتمع القروي ومستوى معيشته البسيطة البعيدة عن مظاهر الترف وروح الفخامة التي هي ميزة من ميزات مجتمع المدينة، ويظهر الطراز المحلي التقليدي في مساجد بني سنوس من خلال تخطيطها وعناصرها المعمارية التي لا تختلف كثيرا عن بعضها البعض، وهذا يدل على مدى تمسك سكان المنطقة بالطراز المعماري الأصيل وتكراره في كل المساجد، والذي يعتمد على بيت الصلاة البسيط الخالي من الصحن وكذا اعتماد مواد البناء المحلية.[1]

المساجد العتيقة بمنطقة بني سنوس شكلت نمطا واحد، بحيث أننا نجده يتكرر في كل مرة وبنفس الصورة والشكل في كثير من تفاصيله، ومن أبرز خصائصه وجود المسجد في موقع طرفي من القرية، ووجود المئذنة مع تعدد المداخل التي تفضي مباشرة إلى بيت الصلاة، ووجود الفتحات في الجدران، بالإضافة إلى استعمال العقود والدعامات بأشكال مختلفة، وكذا استعمال المحاريب البسيطة التي نجدها خالية من الزخارف ماعدا محراب مسجد تافسرة، وإلى جانب ذلك نجد الفراغات على يمين المحراب وتكون خاصة بالمنابر، أما عن التسقيف فهو من مادة الخشب (البلوط، الصنوبر، العرعار)، كما أننا نجد العديد من المواد المحلية الأخرى التي استعملت في بناء هذه المنشآت كالجبس والطين والحجر والقصب إلى غير ذلك من مواد البناء، ولعل أبرز ما يميز هذه المساجد هو وجود الأقبية والدهاليز التي استعملت في الفترة الاستعمارية ككتاتيب لتحفيظ القرآن وتدريس تعاليم الدين الحنيف في مسجدي الخميس وبني عشير.[2]

1.4/ مسجد تافسرة:

يعتبر مسجد تافسرة من بين المباني الأثرية العتيقة التي تم تصنيفها ضمن قائمة التراث الأثري لمنطقة تلمسان، حيث وقع هذا التصنيف تحت الأمر رقم 67-281 المؤرخ في 20 ديسمبر 1967 ملحق رقم 5،[3] ويقع هذا المسجد في الجزء الجنوبي الغربي من القرية أي أنه يحتل منها موقعا طرفيا أين نجده يقترب من الحقول وبساتين الزيتون وقد عرفه سكان

المنطقة باسم مسجد عبد الله ابن جعفر[4]، الذي يروي عنه سكان القرية الكثير من القصص والأساطير التي صيغت في كثير من الأحيان على شكل أشعار وحكايات تتغنى ببطولاته وأنه هو من أمر ببناء كل

---

[1] محمد رابح فيسة، المساجد الريفية وعمارتها بتلمسان (قرى بني سنوس نموذجا)، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، المجلد: 2 العدد: 1، 2013، ص 70.

[2] محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 71.

[3] مديرية المصالح العامة، ولاية تلمسان.

[4] هو حفيد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذي ولد بالحبشة وتوفي بين سنوات 80و90 هـ ، والذي لم يقدم إلى بلاد المغرب ولم ينضو تحت لواء جيش عقبة بن نافع الفهري، أنظر: بل ألفرد، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن 20 (دراسة تاريخية أثرية)، ترجمة محمد حمداوي، دار الغرب للنشر والتوزيع (دت)، ص104.

المنشآت الدينية بالمنطقة، ويزعم أهل المنطقة أن اعتناقهم الإسلام سابق لقدوم إدريس الأول إلى تلمسان، فقد سبقه في ذلك عقبة بن نافع الذي غزا هذه المناطق وأرسى بها قواد الإسلام،[1] ومهما يكن فإن الإثبات التاريخي لمثل هذه الأقاويل والآراء حول الفترة التاريخية التي تأسس فيها المسجد واسم مؤسسه يبقى صعب التحقيق والمنال .

قد تبين لنا من خلال الدراسة الوصفية للمسجد أثناء المعاينة الميدانية أن المسجد في هيكله العام الذي يحيط به السور لا يزيد ارتفاعه عن مترين اثنين (2م)، كما نجده يحيط بملحقاته المتمثلة في غرف لتحفيظ القرآن الكريم وكذا عنصر الميضأة أو كما يسميه أهل المنطقة (المْطاهر)، ومن الممكن أن هذا السور قد أنشئ في فترة أحدث من الفترة التي تأسس فيها المسجد ربما أريد به حفظ المسجد وباقي الهياكل المعمارية من أن تطالها السرقة أو أعمالا تخريبية قد يقوم بها من هم غرباء عن القرية وسكانها.[2]

2.4/ مسجد قرية الثلاثاء:

يعتبر المسجد العتيق بقرية الثلاثاء التابعة لمنطقة العزايل من بين المساجد التابعة لولاية تلمسان والتي تم تصنيفها سنة 1967 بقرار رقم 281-67 ملحق رقم3 وذلك بأمر من مديرية المصالح العامة لولاية تلمسان،[3] ويشكل مسجد هذه القرية بحق معلما أثريا هاما ،فهو المسجد الذي تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والأعياد، وإذا كان مسجد تافسرة يحمل تسمية أحد الصحابة الكرام فإن مسجد هذه القرية لم يتخذ له سكان المنطقة اسما فهم يطلقون اسم الجامع أو المسجد العتيق، أما من الناحية التاريخية فغن ألفرد بل يرى بأن هذا المسجد قد بني في فترة لاحقة لبناء مسجد تافسرة، والذي يبدوا أنه يعود للقرن الرابع عشر أو الخامس عشر ميلادي،[4] وما عدا هذا الترجيح فإننا لا نجد ذكرا لهذا المسجد بين دفَّات المصادر والمراجع التاريخية التي ذكرت المنطقة، كما أننا لا نجد به كتابات تأسيسية كتلك الموجودة في مساجد تلمسان، غير أن تفاصيله المعمارية والتقنيات المستعملة في بنائه دلت على أنه من بين المساجد التي أسست قديما في المنطقة، حيث يبدو التشابه واضحا بين التفاصيل المعمارية لهذه المساجد الريفية وتلك الموجودة في مدينة تلمسان والتي يعود تاريخها إلى الفترة الزيانية، مما يوحي للباحث أن عمر هذه المساجد العتيقة قد يعود للفترة الزيانية أين عرفت مدينة تلمسان حضارة متميزة استحقت بها بجدارة لقب عاصمة المغرب الأوسط.[5]

3.4/ مسجد قرية الخميس: لقد تم تصنيف مسجد قرية الخميس ضمن قائمة المعالم التاريخية، التابعة لولاية تلمسان وذلك تحت الأمر رقم 67-281 ملحق رقم 3، والمؤرخ في 20 ديسمبر 1967،[6] ويعتبر هذا المسجد بمثابة المسجد الرئيسي لوادي الخميس حيث يستقبل كل يوم عددا كبيرا من المصلين خاصة أيام الجمعة والأعياد، ولم يكن هذا المسجد خاصا فقط بسكان قرية الخميس بل إن هناك الكثير من سكان القرى المجاورة كانوا يؤدون فيه صلاتهم كسكان بني حمو، أولاد موسى، أولاد عربي، أما عن

---

[1] ألفرد بل، المرجع نفسه، ص 63.
[2] محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 71.
[3] مديرية المصالح العامة، ولاية تلمسان.
[4] ألفرد بل، المرجع السابق، ص 82.
[5] محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 74.
[6] مديرية المصالح العامة، ولاية تلمسان.

المعلومات التاريخية الخاصة بإنشاء هذا المسجد وفترة تأسيسه تبقى مجهولة حيث لم تورد لنا مصادر التاريخ والمراجع أية تفاصيل تاريخية عن المسجد ولا يعرف سكان القرية متى أنشئ هذا المسجد، غير أنهم يعتقدون بأنه أول مسجد بني في المنطقة وانه أقدم من المساجد الموجودة بتلمسان.[1]

قبل أن يصبح المسجد على ما هو عليه اليوم من تغيير فقد تعرض لبعض الترميمات التي مست خاصة السقف بحيث عوضت السطوح القرميدية المائلة بسطوح مستوية والعوارض الخشبية بسقوف من الآجر مقوسة وتستند على عوارض حديدية،[2] كما أن عنصر الميضأة لم يكن موجودا تماما فقد أضيف في فترة حديثة ويرجح الفرد بل أنه من الممكن أن عنصر الميضأة ربما كان موجودا في القدم في الجهة الشمالية الغربية من الفناء ويذكر بأنه كان يوجد حوض من الماء لكنه جف لمدة خمس أو ست سنوات ولا يمكن تزويده بالماء إلا إذا تم تزويده بالمياه من مكان بعيد عن المسجد،[3] ويبدوا لنا من خلال كلام ألفرد بل أن عنصر الميضأة وتزويد المسجد بالمياه كان شبه غائب أثناء الحقبة الاستعمارية وهذا راجع ربما لقلة إمكانيات السكان وعدم اهتمام المستعمر بمثل هذه المنشآت الدينية وتهميشها، وما يؤكد كلامنا هذا هو ما ذكره ألفرد بل أيضا، لأن معظم الدراسات التي تطرقت لقرى بني سنوس ومساجدها هي دراسات اجتماعية ولم تتكلم عن المسجد كمبنى أثري، لذا حينما نجده يتحدث عن المسجد بأنه رغم تصنيفه ضمن المباني الدينية الرسمية إلا أنه لم يعين له إمام موظف بأجرة رسمية، مع العلم أن هذا المسجد كان يملك أموالا وقفية على جانب كبير من الأهمية، يمكن من خلالها سد حاجاته ووظائفه الدينية وتأمين مصاريف الترميم وتجديد أجزاء المسجد المتضررة.[4]

4.4/ مسجد قرية بني عشير:

يعتبر مسجد قرية بني عشير المسجد الوحيد الذي لم يتم تصنيفه ضمن قائمة التراث الأثري لمنطقة تلمسان، وذلك ربما راجع إلى أنه كان شبه مهجور في فترات سابقة من هذا العهد بسبب تهدم أجزاء منه كالسقف مثلا ،والذي تم تجديده فيما بعد، ويقع هذا المسجد عند مدخل القرية حيث يحتل منها موقعا طرفيا كباقي المساجد الأخرى، حيث تنتشر حوله المساكن بامتدادها نحو جهة الوادي (وادي الخميس) أي من الجهة الشرقية، وقد حافظ المسجد في طابعه العام على نمط المساجد الريفية وعمارتها البسيطة ، حيث يلاحظ حول مخططه العام أن شكل مئذنته جاء على شكل قبيبة لا يكاد يرى شكلها من الخارج وتقع في الزاوية الجنوبي الغربية من المسجد ونصعد إليها من خلال درج صاعد ينطلق مباشرة من قاعة الصلاة ويبلغ عدد درجه 12 درجة، ولا تتسع مساحة هذه المئذنة إلا للمؤذن، كما أنها سقفت بطريقة تقليدية استعملت فيها القطع الخشبية حيث تم رصها إلى بعضها البعض حتى أنها تظهر على شكل بيت العنكبوت وقد تم تغطيتها من الخارج بالقرميد الأحمر فأصبح شكلها من الخارج هرميا رباعي الأضلاع.[5]

---

[1] محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 77.
[2] ألفرد بل، المرجع السابق، ص 80.
[3] ألفرد بل، المرجع السابق، ص 90.
[4] ألفرد بل، المرجع السابق، ص 90.
[5] محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 77.

5/ الخاتمة:

ختاما لهذه الورقة البحثية ما يسعنا إلا القول أن دراسة الجذور التاريخية لمنطقة بني سنوس غرب الجزائر، يعد حتمية لمراجعة التاريخ الأمازيغي للمنطقة، وعن أصل السكان، وتراثها ومساجدها، عمارتها شديدة التعقيد وموغلة في القدم، لا تزال موجودة في عدة قرى من منطقة بني سنوس.

ينتمي سكان منطقة بني سنوس إلى البربر، واصلهم يعود كما قلنا آنفا إلى قبيلة زناته الكبرى، التي استوطنت في عصر الممالك البربرية إقليم تلمسان كله تقريبا، فاختلفت الآراء وتضارب أراء المؤرخين رغم اتفاقهم حول القبيلة الأم التي ينتمي إليها السنوسيين، وحول القبيلة الفرعية التي انحدر منها هؤلاء يرى البعض أن سكان بني سنوس ينحدرون من قبيلة بني حبيب، معللين ذلك بوجود آثار إقامتهم في المنطقة ويحفظ ذكراهم من طرف الأساطير.

إن سكان المنطقة قد اهتموا بالطراز المعماري الإسلامي بحيث يظهر أنهم استغلوا الفضاء الجغرافي بطريقة محكمة، ونلاحظ ذالك في التسلسل الذي يعرفه تخطيط القرية على النمط المعماري الإسلامي، بحيث يقع المسجد وسط القصر، تحيط به الأحياء السكنية وتوزيع الشوارع التي تنتهي بمداخل وتحيط بها من الخارج أضرحة ومقابر، وهذا التخطيط هو نفس التخطيط المعماري الإسلامي طبقا للضوابط الشرعية.

قد قمت بهذه الدراسة من أجل تسليط الضوء ولو على جزء بسيط كتحديد التسمية والإطار الجغرافي لبني سنوس، زد على ذلك الإطار الإداري للمنطقة، والتطرق إلى أصولهم وجذورهم التاريخية، والتعريف بالتاريخ الإسلامي لبني سنوس، وتذكيرا منا لباقي الباحثين الذين يودون دراسة التاريخ الحديث لمنطقة بني سنوس عن كتب، وما لهذا الجانب من أهمية في اثراء الجذور التاريخية لمنطقة بني سنوس واعطاء وجهات نظر جديدة تكون مفاتيح في يد الباحث ثراء لتاريخ الجزائر، والتاريخ المحلي بجميع مراحله.

6/ المصادر والمراجع:

_ الفيروز ابادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مطبعة عيسى الباي الحلبي، مصر، 1306ه.
_ ابن خلدون عبد الرحمان "تاريخ ابن خلدون"، دار الكتب العلمية، المجلد السابع، بيروت، 1992.
_ التنيسي أبو عبد الله،" تاريخ دولة الأدارسة (من كتاب الدر والعقيان)" تحقيق وتقديم: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.
_ القرماني أحمد بن يوسف ، أخبار الدول، عالم الكتب، بيروت،1992.
- بن علي بن عبد القادر عبد المالك ، الفوائد الجبلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا، ج1، دار الجزائر، دمشق، (د ت).
- بل ألفرد، "بني سنوس ومساجدها في بداية القرن 20، تقديم تعريب: محمد حمداوي وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع 2001.
_ بلوفة عبد القادر، دور المرأة الجزائرية في الحركة الوطنية، جامعة وهران: مخبر تاريخ الجزائر وإفريقيا، جوان، 1989.
_ بن عيسى عبد الكريم، الملامح المسرحية في احتفالية آيراد بمنطقة بني سنوس، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2002-2003.
- الهلالي إبراهيم، الشعر الشعبي الثوري الجزائري 1954-،1962 منطقة بني سنوس أنموذجا، (مخطوط) مذكرة ماجيستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2010-2011.

- حمداوي محمد، البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس، في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزايل نموذجا)، (مخطوط)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2005.
- حمداوي محمد، الدار والقرية لدى بني سنوس، مجلة انسانيات، العدد السابع، وهران، 1999.
- يسري عبد الغاني عبد الله ، هل يمكن فلسفة التاريخ، مصر: دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الالكتروني، العدد:04، 2009.
- فيسة محمد رابح، المساجد الريفية وعمارتها بتلمسان (قرى بني سنوس نموذجا)، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، المجلد: 2 العدد: 1، 2013. - مديرية المصالح العامة، ولاية تلمسان.